فلسطين، وليس على أساس الرغبات الحاضرة للسكان الموجودين فيها حالياً (انظر: د. صادق جلال العظم، **الصهيونية والصراع الطبقي**، بيروت: دار العودة ١٩٧٥، ص ١٦٩).

وانسجاماً مع فهمه للحركة الصهيونية وللسياسة الأميركية، يقدم شديد تحليلاً تاريخياً فريداً من نوعه لأسباب الدعم الأميركي للمشروع الصهيوني. هذا الفهم «المثالي» يقود شديد إلى رد المواقف الأميركية إلى الرغبات الشخصية وإلى الاعتقادات الشائعة والانفعالات «الانسانية الصادقة»، متجاهلاً في ذلك كله المصالح الحيوية والاستراتيجية الأميركية في المنطقة العربية، يقول شديد: «ان قلة من المشترعين رغبوا في اتخاذ موقف معادٍ للانسانية، وغير ليبرالي. وكان موقع الصهاينة في الدفاع عن قضية 'الأمة' اليهودية المشتتة قومياً، معززاً بتاريخ الكونغرس الحافل بسجلات من التأييد لقضايا البلدان الصغيرة. إضافة إلى ذلك، كان هناك اعتقاد سائد لدى العديد من أعضاء الكونغرس [مفاده] ان أغلبية اليهود مؤيدين للصهيونية؛ وهذا الاعتقاد غذاه الصهاينة بعناء...» (ص٣٤).

لقد كانت الحكومة الأميركية معنية، منذ وقت مبكر، بمصير السلطنة العثمانية خاصة، وبمصير النظام العالمي عامة. وجربت، منذ أواسط القرن الماضي، إقامة مستعمرات مسيحية ويهودية في فلسطين، ففشلت مرة هنا ومرة هناك، غير أنها واصلت جهودها في هذا الاتجاه بتصميم واضح.

ورغم ان المظهر الخارجي لوعد بلفور واسلوب اصداره يحاولان الايحاء بأنه لا يتعدى كونه التفاتة انسانية بريئة، من قبل الحكومة البريطانية إلى اليهود ومشكلتهم (ويبدو أن شديد قد خدع بهذا المظهر)، فان الواقع يعكس غير ذلك تماماً؛ فلقد جاء هذا الوعد عقب مفاوضات دقيقة بين الحكومة البريطانية وزعماء المنظمة الصهيونية، تطرقت بالبحث والتدقيق لكل كلمة من كلماته بمشاركة الحكومة الأميركية (التي كانت قد توصلت إلى قناعة بريطانيا بأهمية المنطقة استراتيجياً واقتصادياً وعسكرياً) وباطلاع السلطات الفرنسية والايطالية عليه؛ ويعني هذا ان بريطانيا لم تكن، وحدها، المصدر الحقيقي للوعد، بل كانت معها الجبهة الأمبريالية كلها، بزعامة بريطانيا، يومذاك. ويقول ناحوم سكولو الذي شارك مشاركة فعالة في اعداد نص الوعد ما يلي: «كانت كل فكرة تولد في لندن تخضع لامتحان المنظمة الصهيونية في أميركا. وكان كل اقتراح يأتي من أميركا يلقى اقصى ما يمكن من الاهتمام الدقيق في لندن... وكانت المفاوضات الدائرة في الأوساط السياسية في انكلترا وفرنسا معروفة لدى أميركا، حيث كان كل نجاح يلقى ترحيباً حماسياً، كما كان يلقى في معظم الحالات دعماً اضافياً هناك [أي في أميركا]» (انظر: د. صادق جلال العظم، **مصدر سبق ذكره**).

ولقد ظلت الموافقة الأميركية على الوعد طي الكتمان، بانتظار نتائج الحرب وبسبب موقع الولايات المتحدة في السياسة الدولية في ذلك الوقت. وما ان تأكدت هزيمة تركيا، حتى قال ويلسون في آب ١٩١٨: «اعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين، بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا» (انظر: نصر شمالي، **افلاس النظرية الصهيونية**، مطابع الكرمل، بيروت ١٩٨١، ص١٣١). كذلك بعث ويلسون برسالة إلى الحاخام ستيفن وايز يرحب فيها بالتقدم الذي احرزته الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة والبلدان الحليفة. ولقد صادقت الحكومة الأميركية بصورة نهائية على مشروع بلفور في ١٩٢٢/٩/٢١ واقترن قرار الكونغرس بتوقيع رئيس الجمهورية. ومنذ ذلك الوقت تمكنت الولايات المتحدة ان تدخل شريكاً مضارباً مع الاستعمار البريطاني في فلسطين لبناء الوطن القومي اليهودي ولضمان ما يسمى بالمصالح الحيوية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط.

ان مغالاة شديد في تحميل الصهيونية عبء التدخل الأميركي، ومن ثم تبرئة الولايات المتحدة من أي تبعة، تدفعه إلى طي صفحات من تاريخ المبادرات الأميركية، كالمؤتمر الذي دعا إليه روزفلت، بغية التركيز على فلسطين كحل لمشكلة اليهود، مما كان سيتم على حساب البرنامج البريطاني وسينقل المبادرة إلى أيدي الأميركيين، في مسألة أولتها بريطانيا اهتماماً وجهداً كبيرين (انظر: **المصدر نفسه**، ص١٣١ ــ ١٣٢). كذلك ينسى شديد مبادرة الولايات المتحدة بالدعوة إلى فتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها إلى فلسطين، مستغلة في ذلك المأساة التي حلت بيهود أوروبا على ايدي النازيين، ورفضها اتخاذ أي